لماذا لا تَندب الحسين؟

١٩/ ٢/ ١٤٣٦هـ

سؤال قد يبدو غريبًا! لكن قد تزول هذه الغرابةُ إذا علمتَ أن مِثل هذا السؤال سؤالٌ حقيقيٌّ يطرحه بعضُ الشيعة كلما مرّت مناسبةُ عاشوراء، وجرى حوارٌ مع عامة المسلمين وخاصتهم -من العلماء وطلاب العلم في زمنٍ تيسّرت فيه المحاورةُ والمناقشةُ من خلال وسائل التواصل الاجتماعي.

والأعجبُ من هذا: حين يستنكر بعضُ الشيعة صومَنا لعاشوراء! لأنه بزعمهم أن الصوم ينافي ما ينبغي أن نكون عليه من الحزن لِقَتْلِ البِضعةِ النبويةِ؛ السِّبطِ الشريفِ أبي عبدالله الحسينِ بنِ عليِ بن أبي طالب، عليه وعلى والده وآل بيته السلام والرضوان، الذي قُتِلَ شهيدًا سنة إحدى وستين هجرية (٦١هـ)، وعلى مَنْ قتله، وأعان على قتله لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين.

وما دام السؤالُ المذكورُ قد طُرح؛ فليكن جوابنا عنه، وحوارُنا فيه بعلم وعدل وعقل، من خلال الأسئلة الآتية:

عند المسلمين نصوصٌ صريحةٌ صحيحةٌ في الحثّ على صوم عاشوراء؛ شكرًا لله على نجاة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وليس فرحًا بمقتل الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، كما يلبِّس بعضُ الشيعة هداهم الله للحق، فهل يتركون الصومَ الذي أمرَ به جدُّ الحسين صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن مصيبة مقتل الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وقعتْ في اليوم نفسه؟!

وأهلُ السنةِ لا يَجِدون تعارضًا بين المناسبتين، بل يقولون: إن مِن كرامة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لأبي عبدالله الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن يكون يومُ استشهاده في يوم عاشوراء، وهو اليوم نفسه الذي نجّى اللهُ فيه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وغرّق فرعون؛ ليجتمع للمسلمين فيه عبادتان: عبادةُ الشكر وعبادةُ الصبر، وليقترن ذكرُ استشهاده بذكر أحدِ أولي العزم من الرسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ كما يجمع اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الوقت شخصًا أو نوعًا من النعمة التي تُوجب شكرًا، أو المحنة التي تُوجِب صبرًا، كما أنّ السابعَ عشر من شهر رمضان كانت فيه وقعةُ بدرٍ، وفيه كان مقتلُ عليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأبلغُ من ذلك أن يوم الإثنين في ربيع الأول مولد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيه هجرته، وفيه وفاته أيضًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والعبدُ المؤمن يُبتَلى بالحسناتِ التي تَسُرُّهُ، والسيئاتِ التي تَسُوءُه في الوقت الواحد؛ ليكون صبَّارًا شكورًا، فكيف إذا وقعَ مثلُ ذلك في وقتين متعددين من نوع واحد؟!

وهنا مِن حقّ الشيعي الباحث عن الحقيقة أن يتساءل: متى بدأ اللطمُ والشقُّ المتعلقُ بمقتل الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؟ لن يُسعفَه التاريخُ إلا بأن هذا لم يبدأ إلا بعد سنوات كثيرة.

سـؤال آخر: كلُّ الشيعة يقولون: إن عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل من ابنه، وقد قُتل شهيدًا مظلومًا، وهو خارجٌ لصلاة الفجر في رمضان، فلماذا خُصّ الحسينُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالندب دونه؟

ولماذا لم يَفعل أحدٌ من شـيعة عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شيئًا من ذلك، وهو الذي قُتل قبل ابنه بنحو عشرين سنة؟

ولنرجع إلى الـوراء قليلًا: مات النبـيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو أعظمُ من أصيب المسـلمون بموتـه، فلماذا لم يُقِـم الصحابـةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عليه مأتمًا وعويلًا؟ ولماذا لم يبادر العبـاسُ وابنُه وعليٌّ وأكابرُ آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في ذلك الوقت إلى اقتراح مثل هذا، وعلى سبيل الاقتراح على الأقل؟

وحـين فُجـع النبـيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بوفـاة جـدة الحسـن والحسـين، أم المؤمنـين خديجـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وفُجـع بمقتل عمّه حمـزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لماذا لم يَصنـع لهـم مأتمًـا، ويجمـع النـاس والنسـاء؛ ليُظهِـروا مشـاعر الحـزن عـلى هـذه المصائـب الجليلة؟!

الجواب باختصـار: لأن الله لم يأمر عند نـزول المصائب إلا بالصبر والاسترجاع، فقد ربّاهم القرآنُ على هذا، بل وهيأهم لمثل هذه المصائب، إذ قـال تعـالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٦].

ومن الأسـئلة التي مِن حق الشيعي أن يتسـاءل عنها: ماذا فعل هذا اللطمُ للأجسـاد، والشـق للثياب؟ هل أزال كدَرَ المصيبة؟ أم أعاد لنا الحسينَ وآل بيته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟ أم قضى على الظالمين لهم؟

ولـــه أن يعيد النظرَ، ويتســـاءل أيضًا: ونحـــن في عصر الاتصالات والتواصل الفضائي والتقني: ماذا نتوقع أن يقول شخصٌ يريد الدخول في الإســـلام إذا رأى أمثالَ هذه المشـــاهد؟ فهل نظن -وهو يرى أطفالًا وشـــبابًا صغارًا تســـيل الدماءُ من رؤوســـهم من آثار ضرب السيوف والسكاكين- هل نظن أن مثلَ هذا المشهد سيرغّبهم في دخول الإسلام؟ على الأقل في فهم الشيعي الذي يعتقد أن مذهبه الذي عليه هو الحق، وما سواه هو الباطل!

وختامًا: فقد يَخفى على كثيرٍ من الشيعة، أن عددًا من أئمة السنّة نصّوا على أنّ تَقصّد الاحتفال بهذا اليوم، وإظهار الفرح فيه؛ بدعةٌ منكرةٌ، يقال هذا ليتبين أن الخطأَ خطأٌ، والبدعةَ بدعةٌ مهما كانت جهة صدروها.

رزقنـــا الله بمنّـــه وكرَمه لـــزومَ الحق الـــذي أنزله على نبيـــه وخليله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.